AL-HALLAQ

NUR AL-HIDAYAH

2271
.2612
H3
.368

2271.2612.H3.368
al-Ḥallāq
Nūr al-Hidāyah

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 072539370

نور الهداية

للمؤلف

خادم العلم الشريف

عمر عبد الله الحلاوه

١٣٥٢هـ مطبعة العرفان : صيدا ١٩٣٣م

٧٢٢٦
al-Hallāj, ʿUmar ʿAbd Allāh

نور الهداية

Nūr al-hidāyah

للمؤلف

خادم العلم الشريف

عمر عبد الله الحلاق

١٣٥٢ هـ مطبعة العرفان : صيدا ١٩٣٣م

2271
.2612
H3
.368

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه (اما بعد) فإن اهم ما يشتغل به العاقل اللبيب هو السعي فيما ينجي مهجته من النار والكدح فيما ينقي ضميره من الاكدار ليصل بطيب وجدانه الى ما وصل اليه اهل البصيرة والاعتبار وليس ذلك إلا باتقان عقائد التوحيد على الوجه المقرر عند اهل السنة والعارفين الاخيار لأنه لايمتنع عن التلبس بالصفات الذميمة إلا بحسن الاعتقاد المطوي في لبه وقلبه ولما اختلست الفرصة بموافقة الاقدار وفقني الله تعالى إلى بيان ما يجب على العاقل البالغ معرفته من اصول الدين قبل الفروع والله اسأل ان ينفع بها اخواني المسلمين ويبطل بها اضلال المضلين

﴿ مقدمة ﴾

اعلم ان المعرفة قسمان (عرضية وذاتية) فالعرضية هي انك لو نظرت إلى بناء رفيع علمت أنه لا بد له من مقوم بناه ورتبه حسبما رأيت ولا يضرك الجهل في ماهية الباني وحقيقته وهذه هي المعرفة المطلوبة في حقه تعالى وأما المعرفة الذاتية فلا

سبيل اليها ابدا تعالى الله سبحانه لأن الرسل صلوات الله عليهم لم يذكروا حينما سئلوا عن رب العالمين الا كونه خالقا للسماوات والارض أعطى كل شيء خلقه ولو كان سبحانه جسما مركبا من الاعضاء لكان تعريفهم عنه بتلك الاعضاء خصوصا لما سأل فرعون موسى عليه السلام بقوله (فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ومن تدبر القرآن الكريم عرف أن الرسل عليهم السلام لم يعرفوه سبحانه وتعالى إلا بصفاته وأفعاله وآثاره حسب الطاقة البشرية لأن التعريف الذاتي في الأشياء المخلوقة لا يكاد يوجد فأولى أن لا يتم التعريف الذاتي في الخالق لتلك الحقائق المجهولة عندنا

بقي ان نقول ان معرفة الله تعالى نظرية عقلية لا يمكن تحصيلها إلا بالدليل وليست ضرورية بمعنى ان معرفته تعالى من غير دليل ولا دليل لنا على معرفته سبحانه إلا هذا العالم المشاهد بما فيه من السموات والأرضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان والإنسان لأنه اكسبنا النظر والاستدلال انه لا بد لهذا العالم من مدبر يدبره وموجد يوجده ومرب يربيه ومبق يبقيه وإني أبين لك ايها القارئ الكريم طريق النظر من جهة الإنسان نفسه لتقيس عليه غيره من الدلائل فأقول : ان كل احد يعلم بالضرورة انه ما كان موجودا قبل بل معدوما والمعدوم

لا بدّ له من موجد وذلك الموجد ليس هو نفسه ولا الأبوين ولا سائر الناس لأن عجز الخلق كلهم عن مثل هذا التركيب الانساني معلوم بداهة فلا بد حينئذ من موجد يخالف هذه الموجودات فلا يماثلها في شيء حتى يصح منه إيجاد هذه الأشخاص وهو الله ربنا وربكم وللسلف طريق لطيفة في هـذا الباب منها ان أبا حنيفة رضي الله عنه كان سيفا على الدهريـه وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه فدخلوا عليه الجامع يوماً وسيوفهم مسلولة وهموا بقتله فقال لهم فورا إني اسألكم مسألة ثم افعلوا بي ما شئتم فقالوا له رضي الله عنه هاته فقال ابو حنيفة ما تقولون في رجل يقول لكم إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الاثقال قد احتوشتها امواج متلاطمة ورياح مختلفة والسفينة على حالها تجري مستوية وليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز ذلك في العقل قالوا لا هذا شيء لا يقبله احـد فقال ابو حنيفة رضي الله عنه يا سبحان الله إذا لم يجز أن تجري السفينة من غير ملاح ولا متعهد فكيف يجوز قيام هذه الدنيا عـلى اختلاف أحوالها وسعة اطرافها وتباين اكنافها مـن غير صانع وحافظ ومهيمن فبكوا جميعا وتابوا عـن الافتراء وسئل مرة فتمسك رضي الله عنه بأن الوالد يريد الذكر فيكون أنثى وبالعكس ولا يريد الولد فيعطيه الله اولاداً كثيرة وبالعكس ومنها ما تمسك

به احمد بن حنبل رضي الله عنه بقوله قلعة حصينة ملساء لافرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الإبريز قد انشقت الجدران وخرج منها حيوان سميع بصير لابد له من فاعل . أراد بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ ومنها سؤال هارون الرشيد الإمام مالكا عن الاستدلال على وجوده تعالى فاستدل باختلاف الأصوات وتمدد النغمات وتفاوت اللغات وتباين الوجوه والأجسام ومنها انه سئل اعرابي عن الدليل على وجوده تعالى فقال البعرة تدل على البعير والروث على الحمير وآثار الأقدام على المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج أما تدل على الصانع الحكيم العليم القدير وقال آخر عرفته بنحلة فأحد طرفيها يعسل والآخر يلسع ومنها ما يروى ان بعض الزنادقة المنكرين كشف حاله عند جعفر الصادق رضي الله عنه فقال جعفر هل ركبت البحر قال الرجل نعم قال رضي الله عنه هل رأيت اهواله قال بلى هاجت يوماً رياح هائلة فكسرت السفن وغرقت الملاحين فتعلقت انا ببعض الواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج إلى الساحل فقال جعفر رضي الله عنه لما سمع منه ذلك كان اعتمادك من قبل الغرق على السفينة والملاح ثم على اللوح فلما ذهبت عنك هذه الأشياء هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد قال الملحد كنت ارجوها

قال جعفر رضي الله عنه ممن كنت ترجوها بعد خيبة اعتمادك على تلك الأشياء الظاهرة فسكت الرجل قليلا ثم قال سيدنا جعفر رضي الله عنه ان الصانع الحكيم هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت وهو الذي نجاك من الغرق فأسلم الرجل على يده رضي الله عنه ومنها سؤال الشافعي رضي الله عنه عن دليل الصانع سبحانه فقال ورقة الفرصاد[1] طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم قالوا نعم، قال الإمام تأكلها دود القز فيخرج منها الابريسم (الحرير) وتأكلها النحل فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر والغزال فينعقد في نوافجها المسك فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع ان الطبع في الورق واحد فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يديه وهم سبعة عشر وقد سبق انني قلت ان النظر في السموات والأرض يدل على الحكيم الأول سبحانه ولهذا ندبنا الشارع غير اني اقول لا بد من استكمال الشروط في الناظر والمستدل وانعدام الموانع ليتضح له الدليل على وجوده تعالى ولما كان ذلك متعسراً أحببنا أن نبين بهذه الرسالة ماصح اعتقاده عند أهل السنة مع دليله ليكون معتقدا للمكلفين من المسلمين . وأول الشروع نعرف للقارئ الكريم علم التوحيد ثم نسرد له ما يجب في حقه تعالى من الكمال وما يجب في حق

---

(١) الفرصاد التوت

الرسل صلوات الله عليهم ثم نبين له مسألة القضاء والقدر والقيامة فنقول علم التوحيد يبحث فيه عن معرفة الله بآثاره وصفاته وعما يجب في حقه تعالى وما يجب في حق الرسل صلوات الله عليهم وعن الأمور السمعية كالقيامة وموضوع علم التوحيد ذات الله وذات الرسل من تلك الحيثية فيجب على المكلف أولا ان يعرف الله الذي خلقه أي يعرف ما يجب له من الكمال وبه يعرف ما يتنزه عنه ذو الجلال والإكرام تفصيلاً وإجمالاً . هذا معنى معرفة الله إذ لا يعرف الله إلا الله وكل ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك فالواجب في حقه تعالى اجمالا هو الجزم بأنه تعالى متصف بجميع الكمالات متنزه عن جميع سمات النقص

﴿ باب مايجب في حقه تعالى ﴾

اعلم انه يجب في حقه تعالى عشرون صفة ثبتت في النصوص القطعية أولها الوجود بمعنى ان ذاته تعالى موجودة دل على وجوده هذه المخلوقات العلوية والسفلية وما انطوى فيهما من النظم البديعة لهما من مقاليد السموات والأرض والثانية القدم بمعنى ان الله تعالى لا أول لوجوده وليس وجوده مفتتحاً ثم اعلم ان المراد من القدم القدم الذاتي لا القدم الزماني لأنه تعالى لا يحويه مكان ولا يحده زمان دل على قدمه تعالى وجود الحوادث المخلوقة لأن الموجد لها ينبغي أن يكون غيرها وان يكون وجوده قديماً

كان الله ولا شيء معه والثالثة صفة البقاء بمعنى انه تعالى لا آخر لوجوده كما انه لا أولية له دل على ذلك انتظام خلقه وبقاؤه متجدداً متطوراً من حال إلى آخر لأجل مسمى لأن هذا التجدد والتطور لا بدّ له من مجدد وهو الله الباقي سبحانه ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام أي ذاته هي الباقية وكل شيء هالك والرابعة مخالفته تعالى للحوادث بمعنى انه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا يشبه شيئاً من هذه الأشياء دل على ذلك انه لو أشبه خلقا من مخلوقاته لكان حادثاً ولو كان حادثاً مماثلا لخلقه لما وجد شيء من هذا العالم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والخامسة قيامه تعالى بنفسه بمعنى انه لا يحتاج إلى محل يقوم به تعالى ولا إلى موجد يوجده بخلاف المخلوقات فإنها لا بد لها من محل تقوم به وموجد يوجدها دل على ذلك افتقار المخلوقات له تعالى وانه لو كان محتاجا ومفتقرا لشيء يقوم به تعالى لكان حادثاً ولو كان حادثا لما وجد هذا العالم البديع . يا ايها الناس انتم الفقراء إلى الله والله هو الغني أي الغني عن كل ماسواه من المكان وغيره والسادسة الوحدانية بمعنى انه تعالى واحد في ذاته ليس متعددا مندرجا تحت العدد وليس مركبا من اجزاء تعالى الله سبحانه دل على ذلك وجود العوالم لأنه لو لم يكن واحدا لكان متعددا ولو كان متعددا لم يوجد شيء من هذه العوالم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)

والمراد بالفساد هنا لتكون الآية دلالتها قطعية هو عدم وجود السموات والأرض وما بينهما وكما انه واحد في ذاته واحد في صفاته بمعنى انه ليس لصفاته تعدد أي قادر بقدرة واحـدة عالم بكل شيء بعلم واحد الخ

وليس لغيره تعالى صفة كصفته وهو واحد في افعاله بمعنى انه لا يشاركه في إيجاد الأفعال الخيرية والشرية غيره وأما نسبة الفعل الينا فهي من طريق الكسب والاكتساب والميل والرضى والحاصل ان الفعل له نسبة وجودية وهي مخصوصة بالموجد الخالق سبحانه وتعالى وله ايضا نسبة كسبية وهي مناط الثواب والعقاب لأنها ميل الانسان ونيته واستعداده واعلم ان كل ما يسند من الافعال إلى بني البشر فهو من هذه النسبة الكسبية وكل ما يسند إلى الله تعالى من هذه الأفعال ايضا فهو من تلك النسبة الوجودية بمعنى انه هو الذي أوجدها على أيدي خلقه ليميز الخبيث مـن الطيب عند نفس الإنسان الذي لا يوقن إلا بالمشاهدة والمعاينة هذا معنى الوحدانية في الذات والصفات والأفعال . وللوحدة معان أخر لا تصح في حقه تعالى كالوحدة الجنسية وذلك كأن تقول هذا الإنسان والفرس واحد أي في الجنس الذي هو الحيوان والوحدة النوعية كأن تقول زيد وعمرو واحد أي في الانسانية والوحدة الشخصية مثل ان تقول عن زيد انه واحد مـع انه

مركب من لحم ودم وعظم أي واحد بشخصه بمعنى ان مشخصاته لا توجد في غيره وكل هذه الأقسام الثلاثة منزه عنها تعالى لأنه ليس بجنس ولا نوع ولا شخص تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا فثبت له تعالى حينئذ الوحدة الحقيقية ولا واحد سواه بهذا الاطلاق ثم اعلم ان الأولى من هذه الصفات نفسية وهي الوجود بمعنى ان وجوده ليس بزائد على ذاته تعالى لأنه واجب الوجود . وواجب الوجود لا يكون إلا واحداً من كل وجه

ولا تتعقل الذات إلا بصفة الوجود والخمسة الباقية كالقدم إلى آخره سلبية بمعنى انها سلبت باسنادها إلى الله أمرا لا يليق به وسميت سلبية لأنها مفسرة بمعان سلبية كالقدم بمعنى عدم افتتاح الوجود وكالمخالفة للحوادث بمعنى عدم المماثلة الخ . مثاله قولك الله قديم فإنه يفهم من هذا الاسناد انك سلبت الأولية وافتتاح الوجود عن اعتقادك في الله تعالى واعتقدت له عدم الأولية وعدم افتتاح الوجود للدليل السابق وعلى هذا فقس كل الصفات الخمسة السابقة واعلم ان هذه الصفات السلبية الخمسة ليست قائمة بذات الموصوف لأن معناها كما قلنا سلبي أثبتت اعتقاد الكمال المتصف به تعالى سواء اعتقد المكلف هذا أم لا والسابعة القدرة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن واعدامه على وفق الإرادة وكان الله تعالى في القدم متصفا بالقدرة ولا يلزم من

اتصافه بها إيجاد هذه الحوادث في القدم كما انه لا يلزم على من اتصف بملكة الكتابة او الشعر إيجاد الكتابة او الشعر بل له أن يوجد الكتابة او الشعر متى شاء وهذا في القادر القديم أولى دل على ذلك وجود هذه المخلوقات بهذا الترتيب العجيب لأنه لو لم يكن متصفا بالقدرة لكان متصفا بالعجز ولو كان متصفا بالعجز لما وجدت هذه العوالم كيف وهي موجودة على احسن نظام واتم ترتيب ان الله على كل شيء قدير والثامنة الارادة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص الله بها الممكنات والحوادث ببعض ما يجوز عليها من وجودها في هذا المكان دون غيره أو انعدامها بساعة كذا دون غيرها من الساعات إلى آخر ما يطرأ على هذا العالم من الحركة والسكون والكون والفساد فكلها بتخصيص الله تعالى دل على ذلك إحكام الكائنات وايجادها على هذه الفطرة التي لا تبديل لها فعال لما يريد لأنه لو لم يكن متصفا بالارادة لكان متصفا بالكراهة ولو كان متصفا بالكراهة لما وجدت هذه العوالم الناطقة بلسان حالها على حسن اختياره وارادته سبحانه إنما امره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون والتاسعة العلم وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى أي ثابتة لذاته يعلم الأشياء اجمالا وتفصيلا من غير سبق خفاء لا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور دل على ذلك وجود

هذه المخلوقات بهذا الترتيب العجيب الذي يدل على انه صدر عن عليم حكيم لا عن صدفة او تطور مادة عمياء ولو فتشت احوال أبسط مخلوق وعلمت كيف يتناول غذاءه وغير ذلك لأذعنت ان هناك ملهما عالما يسوقه إلى ما ينفعه ويبعده عما يضره واعلم ان علم الله تعالى القديم لايتغير بتغير المعلوم بخلاف علمنا الناشئ عن التصورات والتصديقات والعاشرة صفة الحياة وهي قائمة بذاته تعالى توجب له الاتصاف بالعلم والإرادة وغيرهما من كل كمال دل على ذلك وجود هذه المخلوقات لأنه لو لم يتصف الموجد بالحياة لكان معدوما ولو كان كذلك لما وجد شيء من العالم تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم ثم ان حياته ليست كحياتنا وهو واحد في صفاته لا احد يمكنه ان يتصف بمثلها كما سبق في الوحدانية والحادية عشرة صفة السمع وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يسمع بها كل موجود بغير اذنين وصماخ بمعنى انه تنكشف له المسموعات انكشافا تاما بلا تأثير حاسة تعالى الله الذي ليس كمثله شيء ان تكون له حاسة سمع لأنها صنعته ومعلوم ان الصانع يلزم ان يكون غير صنعته التي اخترعها بيده والله صانعنا وخالقنا ومن كماله ان يكون مخالفا لنا من كل وجه والثانية عشرة صفة البصر وهي قديمة قائمة بذاته تعالى يبصر بها كل موجود بغير عين وحدقة بمعنى انه تعالى تنكشف

له المبصرات انكشافا تاما ولا يلزم من قدم صفة السمع والبصر لله تعالى قدم المسموعات والمبصرات كما لا يلزم من قدم العلم والقدرة قدم المعلومات والمقدورات لأنها من الحوادث والحاصل ان تعلق القدرة بالمقدورات على سبيل الإيجاد وتعلق العلم بالمعلومات على سبيل الانكشاف وهذا التعلق هو الحادث مع المتعلّق فيه من المبصرات والمسموعات والمعلومات والمقدورات وقد ضربنا مثلا للتقريب في الكلام على القدرة فارجع اليه والثالثة عشرة صفة الكلام وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى اي ثابتة لذاته تدل على كل معلوم من غير واسطة حرف ولا صوت و كلامه تعالى منزه عن التقديم والتأخير وغير ذلك من صفات الحوادث لأن كلامها ينقضي شيئا فشيئا لأنه من الأعراض وهي غير قارة ويسمى كلاما لفظيا وللانسان ايضا كلام نفسي قائم في نفسه يعبر عنه بالكلام اللفظي وأما كلام ربنا تعالى فنفسي نُزِّل على قلب محمد عليه السلام فتراءت صورته على لسانه صلى الله عليه وسلم لما حواه من الصفاء والتأييد الإلهي كما تتراءى صورة القمر العالي على سطح الماء ومدلول الصورة المنتقشة على سطح الماء ومدلول القمر في اوج السماء واحد لأن كلا منهما يدلان على القمر وهكذا الكلام النفسي الإلهي مدلوله ومدلول الكلام اللفظي الذي ظهر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم

واحد ولهذا نقول القرآن الكريم غير مخلوق

ولا ينقسم كلامه تعالى إلى امر وخبر ونهي ووعد ووعيد فإن قيل كيف ذلك وقد وجدنا القرآن الكريم منقسما إلى هذه الأحوال فنقول كلام الله في الأزل قبل الخليقة صفة واحدة لأنه كما سبق واحد في صفاته لكن يسمى باعتبار التعلق بالمأمور به أمر او يسمى خبرا باعتبار تعلقه بالمخبر به ويسمى كلام الله نهيا باعتبار تعلقه بالمنهي عنه ووعدا باعتبار تعلقه بالثواب ووعيدا باعتبار تعلقه بالعقاب إذا عرفت هذا فالتعلق هو المنقسم إلى امر ونهي وغير ذلك باعتبار المخاطبين مثاله لو اصطلحت مع عبدك عَلَى انك لو تلفظت بكلمة (طب) كان هذا أمرا منك اليه بنزوله إلى السوق وخبرا بحادث حدث ونهيا له عن التأخير ووعدا له ان اطاع بتكثير معاشه ووعيدا له ان عصى بتقليله فتكون الكلمة الواحدة التي هي (طب) المصطلح عليها مع العبد امرا وخبرا ونهيا ووعدا ووعيدا باعتبار التعلق المصطلح عليه وهي بالحقيقة واحدة وهكذا كلام الله تعالى مع العبد النبي الامي صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق صاحب الفطنة المعصوم الذي بلغنا كلام الله تعالى برسالته التي لا تكتسب لأن طالب هذا الأمر الخطير إذا لم يفهم اصطلاح الحق الأول بواسطة اختصاصه تعالى له لا يمكنه ان ينال درجة النبوة أبدا والدليل عَلَى هذه الصفات اعني

السمع والبصر والكلام الكتاب والسنة واجماع الأمة المعتبر ولا يقال انك استدللت على كلام الله تعالى بالكتاب القرآن وهو دور غير جائز في طريق الاستدلال لأن استدلالي بالكتاب القرآن من حيث انه كلام نزل عَلَى محمد صلى الله عليه وسلم مقروء محفوظ بالصدور لا من حيثية الكلام النفسي وايضا لو لم يتصف سبحانه بالسمع والبصر والكلام لزم ان يتصف باضدادها وهي نقائص والنقص على الله تعالى محال ان يتصف به فما ادى إلى المحال وهو عدم اتصافه بهذه الصفات محال ايضا فصدق المطلوب وهو اتصافه تعالى بها عَلَى وجه لائق بكماله إلى هنا تم ذكر صفة الوجود النفسية والصفات السلبية الخمسة وصفات المعاني القائمة بذاته تعالى وهي سبعة أولها القدرة وآخرها الكلام والمراد بصفات المعاني سواء كانت حادثة الصفات الموجودة بنفسها كبياض الجرم او سواده مثلا أو كانت قديمة كما في صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة الخ · بقي علينا سبع صفات تسمى الصفات المعنوية وهي كونه قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما وهي غير موجودة في نفسها الا انها لازمة للذات العلية ما دامت الذات متصفة بالعلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام

﴿ تنبيه ﴾ : معنى كونه عالما مثلا انها صفة أخرى غير صفة

العلم لكنها لم توجد استقلالا ولم تكن معدومة عـدما صرفا بل هي ثابتة وواسطة بين الموجود والمعدوم وقس باقي الصفات المعنوية على هذا التفسير وانتبه لأنها غير صفات المعاني واذا عرفت مايجب في حقه تعالى تبين لك ضد هذه الصفات العشرين إذ الضد اقرب خطورا في الذهن من غيره فنزه ربك وقدسه عن اضداد هـذه الصفات العشرين التي تؤدي إلى النقص الذي لا يليق به تعالى واعتقد انه يجوز عليه سبحانه فعل كل ممكن او تركه قال تعـالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) ويفهم مماسبق ان الباري سبحانه ليس محلا للكميات المتصلة كالمقادير وهي الطول والعرض والعمق ولا المنفصلة كالاعداد فصفاته مهما تعددت في عقولنا وافهامنـا فهي واحدة في ذاته تعالى سميت علما باعتبار تعلقها بالمعلوم وقدرة باعتبار تعلقها على سبيل الايجاد وارادة باعتبار تعلقها بتخصيص الأشياء ، والداعي لهذه المقالة من البعض رد ما ورد عليهم من ان اعتقاد الصفات قديمـة يوجب تعدد القدماء فيما إذا كانت صفات المعاني زائدة عَلَى الذات . والحق ان الممنوع تعدد الذوات القدماء كما يقول به بعض الملـل وأما كون صفات الله قديمة قائمة في ذاته القديمة فلا يوجب تعـدد القدماء فعليه يجوز ان نعتقد ان الصفات التي تثبت لله تعالى زائدة عَلَى الذات واجبة لها ولا يوجب ذلك تعدد القدماء مثاله : في الشاهد هو انانرى

الإنسان متصفا ومتحليا بالصفات الكمالية ومع هذا لا نري ذاته إلا واحدة لم تتعدد وان تعددت صفاته فالحكم علَى الذات لا علَى الصفات لانها لازمة للذات وهذا هو مذهب اهل السنة

﴿ باب في ما يجب في حق الرسل ﴾

اعلم ان ما يجب في حق الرسل صلوات الله عليهم من الاخلاق الفاضلة والتبليغ والفطانة موهوب منه تعالى علَى سبيل الاختصاص ليس مكتسبا بمعنى ان النبي وان اجتهد في الرياضة الروحية والعبادات فليس الداعي إلى نبوته هو ذلك الاجتهاد والتهيؤ (الله اعلم حيث يجعل رسالته) (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير) ثم ان النبوة عندنا ضرورية مبرهن عليها من جهة حركات بني الإنسان الاختيارية لأنها إما ان تكون الحركات خيرية او شرية ولا يجوز ان يميز بين الخيرية والشرية كل احد كما انه لا يجوز عدم تمييزها من كل احد لوجود الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة والوعظ من اهله ومشروط في ذلك معرفة الخير من الشر والحق من الباطل والصدق من الكذب وإذا كان لا يجوز لكل احد ان يعرف الخير من الشر ولا يجوز ان لا يعرفهما بقي ان يعرف ذلك بعض دون بعض وذلك البعض هم الرسل صلوات الله عليهم المؤيدون من البارئ الحكيم سبحانه ولما كانوا صفوة الخلق احال العقل ان يتصفوا

بصفات لا تليق في منصبهم الرفيع ولهذا قال الناظم

وصف جميع الرسل بالامانه والصدق والتبليغ والفطانه

والحاصل انه لايجوز عليهم الاتصاف بضد ما ذكر في هذا النظم من عدم الامانة وغيرها كما انه لا يجوز أن تكون الانثى من بني الإنسان نبيا قط والمراد بالامانة حفظ الله بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة ولو حال الطفولية وهي المسماة بالعصمة وما يشم منه المخالفة يحمل في حقهم صلوات الله عليهم عَلَى ترك الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين وقرينة صرف ما ظاهره المخالفة هو العقل المثبت لهم كل كمال ولا يلتفت الى بعض المشاغبين المتمسكين بظاهر قوله تعالى (ليغفر الك الله ما تقدم من ذنبك) وقوله تعالى وهمت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) وقوله تعالى (عفا الله عنك لم اذنت لهم) لأن العقل النير يفهم ان هذا الظاهر غير مراد وانه جاء عَلَى هذا النظم لاسرار اقلها ان لا يعبد الرسل من دون الله والمراد بالصدق في حقهم مطابقة دعواهم للواقع ونفس الامر ودليل المطابقة المعجزة منهم وهي امر خارق للعادة مقرونة بالتحدي مع عدم المعارضة عَلَى وجه يدل عَلَى صدقهم وشروط المعجزة سبعة الاول ان تكون فعل الله تعالى اومايقوم مقامه من الترك والثاني ان تكون امراً خارقاً للنواميس الطبيعية والثالث ان يتعذر معارضتها والرابع أن

تكون مقرونة بالتحدي كما في سحرة فرعون حينما تحداهم موسى عليه السلام والخامس ان توافق الدعوة فلو قال النبي معجزتي ان احيي الموتى ففعل امرا خارقا آخر كانفلاق البحر لا نصدقه والسادس ان لا تكون المعجزة مكذبة لدعواه كأن يقول : المدعي للنبوة معجزتي ان ينطق الضب فنطق وقال له كذبت مثلا والسابع ان لا تكون المعجزة متقدمة عَلَى دعوى الرسالة والمراد بالفطانة حدة العقل وذكاؤه فلا يجوز ان يكون الرسول مغفلا او ابله او بليدا

تنبيه : ان بعض الناس يظنون ظن السوء بأمر المعجزة لما يشاهدونه اليوم عَلَى ايدي المشعوذين والسحرة والعالمين بخواص الكيمياء الذين يعملون اعمالا ظاهرها انها معجز وامر خارق والحال انها من الامور الكسبية العلمية غير انها لعدم انتشارها وصعوبة قواعدها توهمها اولئك المستعدون للزندقة المدعون للفلسفة انها من جنس ما جاءت به الانبياء الكرام صلوات الله عليهم ومن قرأ ما ذكرناه من شروط المعجزة هان عليه الامر وفرق بين المعجزة وغيرها ثم ان المراد من التبليغ ايصال الاحكام التي امروا بتبليغها إلى المرسل اليهم سواء كانت بواسطة البعثات إلى البلدان مثل إرسال سيدنا علي رضي الله عنه إلى اليمن او كان بالسماع منه صلى الله عليه وسلم قال تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)

(اي) بلغ جملة ما انزل اليك اعم من ان يكون التبليغ بواسطة او بلا واسطة وان لم تبلغ فأعظم تهديد يقال لك هو انك مابلغت رسالته وهذا من باب

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

وبعض آخر يقول ان لم تبلغ الكل فما بلغت رسالته والاول اولى عندي لما فيه من التهديد المشار به إلى انه صلى الله عليه وسلم عظيم القدر عند الله وإلى ان منصب الرسالة خطير جدا وهذا في غاية البلاغة ثم ان الامر للوجوب المعين على الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا يتعين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد البعثة في الاشياء المعلومة من الدين بالضرورة على كل احد من اهل الشريعة الاسلامية وذلك كالنهي عن الزنا والربا ولبس الحرير والذهب وكالامر بالصلاة والصيام والحج والزكاة واما في الاشياء المختصة باهل العلم وبالإمام اعني الرئيس للمسلمين فلايجوز لعامة الناس ان يقوموا بها وان تركها اهلها وذلك مثل من يتصدر للتدريس وليس من اهله او ابعاد القضاة المعطلين للاحكام او نهي العلماء عن التفرق الذي لا يليق بأمثالهم وما احوجنا لمن يقوم بهذه الشؤون في هذا الزمن ثم اننا مااوجبنا على العالم بأن يقوم بالاشياء المختصة به إلا لانه استقى من علوم النبوة فلا ينبغي أن يداهن لاجل امر دنيوي او

يسكت عن واجب مخافة الناس و كل ظني أن من حاز هذه الثقافة يجهر بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم قال صلى الله عليه وسلم (ألا لايمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول حقا إذا علمه) وقال سيدنا عمر رضي الله عنه أن رقة الوجه رقة في العلم ثم إعلم أن الرسل الكرام يستحيل عليهم الخيانة والكذب وعدم التبليغ وقلة الذكاء والفطانة ويجوز عليهم الاعراض البشرية التي لاتؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية وهذا من جهة ظواهرهم وأما بواطنهم فهي معمورة بالاسرار الإلهيه متعلقة بحب خالق البرية فلا يحصل منهم ضجر ولا شكوى واعمالهم واقوالهم وافكارهم كلها بالنسبة الينا معجزات كما ان اعمالنا واقوالنا وافكارنا معشر البشر بالنسبة الى الحيوان معجزات وخوارق قال تعالى (قل إنما انا بشر مثلكم يوحى إلي) فانظر كيف دلت الآية الكريمة على المماثلة في البشرية ثم بينت وجه مفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم للبشر بالوحي الأمين ومما يستدل به على النبوة فضلا عما سبق اول الباب معرفة قرائن احوالهم صلوات الله عليهم المفيدة للعلم القطعي الضروري المفقودة في حق غيرهم وايضا مما يستدل به على ذلك معرفة عجز النفوس البشرية من غير التأييد الإلهي المخصص بهم صلوات الله عليهم لأنك تجد ان النبي عليه السلام نشأ في زمان الجاهلية ومع هذا كان خلوقا صدوقا امينا اديبا زاهدا شفوقا رحيما

وهكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم فهم بعيدون عن الدناءة والكذب والتمويه والحاصل انه لم يتخلق عليه السلام ولا الانبياء صلوات الله عليهم بشيء من اعمال اقوامهم من الوثنية وغيرها مع شدة ملاصقتهم لمن لا خلاق له لضرورة الامور المعاشية وما ذاك إلا لأنهم من اهل النبوة منحهم الله سبحانه نفوساً عالية لا تقبل الانتقاش من غيره تعالى وايضا تجد اصحاب الانبياء صلوات الله عليهم في غاية من العلم والنور والبركة والتقوى والديانة خصوصا اصحاب رسولنا صلى الله عليه وسلم قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) ومن اطلع على تفسير هذه الآية الكريمه عرف ان هذا في غاية المدح لهم رضي الله عنهم اجمعين فانظر ايها القارئ الكريم هل اثرت فكرة اجتماعية كما اثاروا او رفعت عادة مما تعتاده اصحابك كما رفعوا اني لاقول عنك كلا ثم كلا فكل ما تراه ايها الاخ من عناء الصحبة والاصحاب فهو دال على فضل الانبياء واصحابهم صلوات الله عليهم ورضي الله عنهم وعدم استطاعتك لذلك لأن النفس مجبولة على شيم مهملة واخلاق مرسلة لايستغنى بمحمودها عن التأديب ولايكتفى بالمرضي منها عن التهذيب وليس بمستطاع كل إنسان ان يسوس هذه النفوس بسياسة عالية وشريعة قويمة ومعارف عالية لأن بداهة العقل حاكمة بأن جل المعارف البشرية

والعقائد الدينية والسياسات الشرعية مكتسبة فإن لم يكن في الناس معلم مؤيد منه تعالى ليقوى على تعليمها قصرت العقول عن درك ما ينبغي لها دركه وانقطعت عن الاستعداد لما يكون في الآخرة وساوى الإنسان في معيشته سائر الحيوانات : والتنبيه على انه ليس بمستطاع كل احد ان يسوس هذه النفوس هو ان اجسامنا في غاية الكدورة لانغماسها في العلائق الدنيئة كالإفراط في اللذات الجسمانية والعوائق الطبيعية كالاوصاف الذميمة

ثم ان صفات الباري تعالى في غاية التنزيه والتقديس ونهاية العلو والصفاء والضياء فكيف يصح في العقل ان يقبل عن الله الذي ليس كمثله شيء ذلك الإنسان المنغمس بتلك العلائق والعوائق واذا عرفت هذا ايها العاقل اللبيب فاعلم انه لا بد من اصطفاء رجال متوسطين بين الجهتين الدنيا والعليا ليقبلوا ويأخذوا عن الله بكمال الصفات النبوية ومع هذا لم يخرجوا عن كونهم من جنس البشر لنأخذ ونقبل عنهم نور الهداية الصمدية قال تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون) اي لو جعلنا المرسل حسب شهواتهم الفارغة ومتمنياتهم الفاسدة ملكاً على الفرض لجعلناه رجلا ليقبلوا عنه تعاليم الامور الدينية لأن المرسل ينبغي ان يكون من جنس المرسل اليهم حسب الحكمة والسنة فالانبياء والرسل وسائط بين الله وخلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم

بما لا يعلمون من امره تعالى وما لم يعلموه من احوال خلقه ابتداء وانتهاء وعلى هذا يقتضي ان نتأدب مع هؤلاء المعلمين الذين وقفوا حياتهم لخدمة الحق والانسانية وما ينبغي لنا ان نقول فيهم الا الحق فمن الناس من يشك في باب النبوة ومن الناس من ينكرها وذلك من الجهل بمراميها الاجتماعية وغاياتها الاخلاقية ولو كان في النبوة ادنى ريب لماندبنا القرآن الكريم إلى الاسترشاد والاستبصار في الاحكام التي جاءت بها الانبياء صلوات الله عليهم قال تعالى (واسئلوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) لأن اهل القرآن اهل العلم هم الذين يمكنهم رفع الشبهات الاعتقادية والعملية عن المتشكك المتردد فالاولى بالانسان الذي هذا شأنه ان يكتم هذا الامر ويجعل ساعة من عمره للاسترشاد وإزالة ما يتوهمه من الشبهات ولا يجعله مذهبا يتبجح به امام الناس واعلم اننا لا نكره صاحب الشك على اعتقاد الصواب لانه لا يتأتى اكراه على الدين والاعتقاد لاستحالة حصول الإكراه للقلب بل نستنهض همته إلى السؤال والاسترشاد وقد قالوا لا يمكن اقامة الدليل على نفس الاعتقاد لأنه عمل قلبي وجداني ولذلك نفى الله تعالى جنس الإكراه في الإعتقاد الذي هو اساس الدين بقوله (لا إكراه في الدين) لأن الإكراه عبث تصان عنه العقلاء كل ذلك ليعمل المتلبس في الدين المصدق برسالة الانبياء عليهم السلام عن وجدان

حي وقلب سليم وبهذا يستفيد المكلف الانسان التهذيب النفسي والرابطة الودية الدينية وما احوجنا اليها لأن اكثر المسلمين لا تعرف من الدين إلا رسمه وذلك لاننا عدلنا عن نور الهداية المحمدية انا لله وإنا اليه راجعون

باب القضاء والقدر

قد ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين إلى ان ظنوا في مفهومهما معنى الإكراه والاجبار وليست الحقيقة كما ظنوا الأن معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله ورسوله وبها نتخاطب ونتفاهم هو الحكم ولذلك يقولون جاء القاضي بمعنى الحاكم وقضى الله بكذا اي حكم وقد تكون بمعنى امر كما في قوله تعالى (وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا اياه) اي امر ان لا تعبدوا إلا اياه وتكون ايضا بمعنى اخبر كقوله تعالى (وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) اي اخبرناه ان دابرهم مقطوع بالصباح وتكون بمعنى اراد وهو قريب من معنى حكم كما قال تعالى (إذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) اي إذا اراد شيئا حكم بكونه فأوجده حسب حكمه ومعنى القدر لغة الترتيب والحد الذي ينتهي اليه الشيء تقول قدرت البناء تقديرا إذا رتبته وحددته قال تعالى وقدر فيها اقواتها اي رتب اقواتها وجعلها محدودة لمخلوقاته وقال تعالى إنا كل شيء

خلقناه بقدر اي برتبة وحد والحاصل معنى قضى وقدر اي حكم ورتب ومعنى القضاء والقدر حكم الله في شيء بحمده او ذمه وبكونه ووجوده وترتيبه على صفة كذا او إلى وقت كذا هذا ما يعتقده المسلمون اذ الحاكم والمرتب هو الله تعالى لا يخرج شيء عن ما قضاه وقدره كما ان المهندس لا يخرج عن ما قضاه وقدره من الصورة الهندسية فيما يراد بناؤه وعمارته ثم اعلم ان القضاء والقدر سر التوحيد وأساسه وهو معلوم من الدين بالضرورة فيجب على المؤمن ان يعتقد ان كل ما كان وما سيكون بقضاء الله وقدره وبهذا جاءت النصوص القطعية ولا التفات لبعض المخالفين في القضاء والقدر لأنهم تصرفوا بالدلائل وأولوا الظواهر القواطع واعتقدوا المرجوح فيها من غير صارف ولا دليل وقالوا كل ما اشعر ان الخير والشر من الله تعالى قضاه وقدره على العباد مصروف عن ظاهره ان كان ظاهرا ومخصص ان كان عاما كما في قوله تعالى (ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) فان البعض المخالف تصرف في هذه الآية الكريمة وقال ان الكلام له سبب خاص يحمل عليه ومراده ان هذا الإملاء اي الامهال ليس خيرا لهم من ان يموتوا كما مات شهداء أحد وزعم انها منوطة بهذا السبب والبعض منهم يقول الكلام في الآية مبني على التقديم والتأخير واللام في

ليزدادوا للعاقبة ويكون المعنى على ذلك لا تحسبن الذين كفروا ان تكون عاقبتهم ازدياد الاثم إنما نملي لهم خير لانفسهم فنقول ان الجواب عن قولهم لها سبب خاص تحمل هي عليه هو ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ وخير التفسير ما كان عاما واما قولهم فيها تقديم وتأخير واللام للعاقبة فهو صرف للكلام عن ظاهره ووضعه وايضا (إنما) الثانية همزتها مكسورة لا يجوز قراءتها بالفتح مفعولا لتحسبن (وأنما) وهي الاولى في الآية مفتوحة لا يجوز كسرها ولم توجد قراءة بهذا الشكل إذا عرفت هذا فنقول إن الإملاء مشتق من الملوة وهي المدة من الزمان قال الاصمعي املى عليه الزمان طال واملي له امهله وهذا المعنى الأخير هو المراد لأن المشركين كانوا يثبطون المسلمين عن الخروج للجهاد فلاجل ان لا يقع احد في سوء الظن في الله ولأجل ان لا يقال انه لم يهلك المشركين كما اهلك من قبلهم قال تعالى (ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم) الآية فثبت ان الإملاء اي الامهال فعل الله تعالى والآية نص قاطع في بيان ان هذا الامهال والتطويل عليهم ليس بخير بل هو شر لازديادهم في هذا الإمهال إثما وذنبا ولا شك انه شر قضاه وقدره عليهم المقدر سبحانه حسب علمه في الازل قبل وجودهم إذ لا يقع في ملكه الا ما يريد وبهذا يتضح لك سر التوحيد والآيات

القاطعة بأن كل شيء من الله تعالى كثيرة منها (فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا أتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) نزلت في وفد جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وأسلموا ثم استأذنوا في الخروج إلى الصحراء فأذن لهم فاختلفت الصحابة رضي الله عنهم في إسلامهم حيث انهم خرجوا إلى ديار المشركين ولم يتشرفوا بصحبته صلى الله عليه وسلم فأفادتنا هذه الآية أن الإضلال فعل الله خلقه وقدره وليس للعبد الضال إلا ميله ورضاه وهو المسمى بالجزء الإختياري الذي هو مناط الثواب والعقاب ومنها قوله تعالى (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمالهؤلاءالقوم لا يكادون يفقهون حديثا) وهذه نص في إفادة العموم في كل الحسنات والسيئآت لأن الواقع في سياق الشرط يفيد العموم والطاعة حسنة وهي خير والمعصية سيئة وهي شر فتكون الآية دالة على أن جميع الطاعات والمعاصي من الله وان القوم الذين تشائموا بالنبي صلى الله عليه وسلم مستبعد فهمهم أن الكل من خير وشر وحسنة وسيئة من الله القهار المعز المذل الضار النافع خالق كل شيء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولو قال قائل أن إبراهيم عليه السلام قال وإذا مرضت فهو يشفين فنسب

المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه وهذا دليل على أن الخير من الله والشر الذي هو المرض من نفسه نقول هذا أدب رباني الهمه لنبيه عليه السلام في مقام العظمة والجلال لا في مقام البيان والتعليم وايضا نحن مأمورون به في مقام دون مقام التعليم لبيان العقيدة لانه لا يجوز ان نقول خالق الكلب والخنزير في مقام العظمة والمجد بل نقول خالق السماوات والأرض ذو العرش العظيم وقس على هذا كل ماجاء في القرآن الكريم فيما ظاهره المعارضة لأنه ما رجحنا الآيات التي فيها نسبة الخير والشر اليه تعالى الا ليبقى واحدا في ذاته وصفاته وأفعاله التي قام عليها الدليل في علم الكلام واما البعض المخالف القائل ان الخير منه تعالى قضاه وقدره والشر من الإنسان فقد استدل بالمرجوح من غير صارف ولا دليل وتسرب اليه ذلك الامر من عقائد قديمة لم تعهد في الإسلام لأن الاحاديث قررت الطرف الراجح في الآيات التي هي مستند اهل السنة وإجماع الامة منها ما جاء عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره قال أنس وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على لحيته الشريفة وقال آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره او كما قال عليه السلام فالمراد بالخير كل ماهو طاعة وبالحلو ثوابها والمراد بالشر كل ما هو معصية

وبالمرّ عقابها ومنها قوله تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) اي ومن يرد الله كفره وضلاله فلن يقدر احد على رفع ما اراد سبحانه وتفسير الفتنه في الكفر والضلال دعا اليه السياق وإلا فالظاهر انها عامة في كل ماصدق انه فتنته وقال تعالى (وماتشاؤون إلاان يشاء الله) اي ما تشاؤون من خير عائد عليكم او شر لا يمكن وجوده إلا إذا شاء الخالق سبحانه وهذه الآية اثبتت للإنسان مشيئة وإرادة تحت مشيئة الله تعالى وهو الحق ليبقي مقام الخلق والاختراع والايجاد لله تعالى وما جعل لك مشيئة جزئية ضمن مشيئته الكليه إلا لانه تعالى يقول (ولا يظلم ربك احدا) (وماربك بظلام للعبيد) قل (فلله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم اجمعين) وقد خلق فيك ايها الانسان مثالا ينطبق على ماقلنا وهو التنفس فإنك تكون مختارا فيه بقدر وسع صدرك وعظم رئتك فيمكنك قطع نفسك مدة حتى إذا كثرت الغازات المفسدة في حواصل الرئة اضطرتك الحالة إلى التنفس والحاصل ان الحركة التنفسية اضطرارية في صورة اختيار وهكذا حركات الانسان ظاهرها عند الاقدام على التحرك اختيار وباطنها عند النية ومقارنة قدرة العبد للفعل اضطرار ولذا يشترط في صحة المؤاخذة شرعا ما يشترط في صحة اداء التكليف من البلوغ والعقل وعدم العوارض السماوية والكسبية مثال السماوية النوم

لأنه فترة طبيعية تحدث في الانسان بلا اختيار منه وتمنع الحواس الظاهرة عن العمل لهذا اخر الشارع الحكيم تعلق خطابه بالاداء إلى وقت الانتباه واليقظة لأنه عاجز عن الإدراكات والاقدام على الحركات الإرادية وهكذا الإغماء فإنه اشد من النوم في فوت الاختيار والقدرة لان النائم يمكن تنبيهه بلا معالجة بخلاف المغمى عليه ومثال العوارض الكسبية الجهل الذي يصلح عذرا كالجهل في موضع الاجتهاد الصحيح الذي لا يخالف القرآن والسنة المشهورة والاجماع فإن الجاهل بهذا المعنى لا يؤآخذ كما انه لا يطلب منه اداء امر فرعي لم يتضح له وجهه إن كان من اهل الاجتهاد واما الجهل من الكافر بوحدانية الله وصفاته الكمالية ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإنه مكابرة وعناد لقيام البراهين القاطعة فلا يكون عذرا كيلا يعذب . فهذا الذي ذكرناه يدلنا على ان الله الحكيم سبحانه ماض في حكمه وقضائه وقدره عند وجود الميل والاختيار والتمييز من الإنسان فيظهره الله على يديه وينسبه اليه ويكون الإنسان بذلك محلا للعقاب والثواب ولا عذر له ابدا لأنه تعلق به خطاب الوجوب والاداء واستوفى الشروط التكليفية اما إذا ظهر ما ظهر من خير او شر ولم يكن لذلك الإنسان ميل ولا اختيار ولا تمييز فهو كما قلنا لا يخاطب بأداء التكاليف كما انه لا يؤآخذ لأنه كالعضو الاشل في هذا

المجتمع فيكون معذورا كالنائم الذي يشتم احد اقربائك في المنام او يقتل نفسه فإنه لا كسب له في ذلك ولا ميل فيكون ماصدر منه مقدّرا اجراه وطبقه على يد ذلك المجنون اوالنائم سبحانه وتعالى فلا يؤآخذه عليه من حيث هو

تنبيه : إن القضاء والقدر والحكم على الممكنات وترتيبها تابع للارادة الإلهية أذ لا يكون وجود الكائنات والحوادث إلا بإرادته لها فإذا قضى بوجودها ورتبها وتعلقت القدرة بها اتصفت بالوجود حسبما قضاه وقدره واراده سبحانه وتعالى

ثم اعلم ان الله تعالى خلق في العبد قدرة وهذه القدرة لها صفتان التيسير والتمكين فإذا ثبت العبد على العزم بفعل شيء وترقى به عزمه حسب استعداده إلى القدرة الميسّرة ومنها إلى درجة التمكين درجة النية والقصد المسماة في عرف اهل الكلام بالكسب والاكتساب يوجد الله سبحانه عند مقارنة القدرة الممكّنة الشيء المقصود للعبد ضمن دائرة القضاء والقدر التابعين للإرادة الالهية واعلم ان الاستطاعة في العبد اعم من التيسير لأن كل ميسر مستطاع ولا عكس فيكون العبد حال التيسير مستطيعا وحال التمكن غير مستطيع لأنه لايمكن للعبد الترك عند ايجاد الله للفعل الميسَّر ولا يمكن له ان يفعل إذا لم تتعلق قدرة الله بايجاد ذلك الفعل وهذا هو محل الخلاف بين من يقول ان العبد

يخلق أفعال نفسه وبين من يقول انه تعالى هو الخالق لفعل العبد عند تمكنه ومقارنة قدرته للشيء المراد والأخير هو مذهب اهل السنه وهو الحق لأنه لا خالق إلا الله الفاعل المختار الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك ولا يجوز ان يكون فاعلا بالطبع او بالعلة لان فعل الطبيعة او العلة لا يكون إلا شيئا واحداً غير مختلف ومن فكر في هذا العالم وتنوعه إلى انواع مختلفة عرف ان الله لا يفعل إلا عن اختيار قال تعالى (افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) وقال تعالى (يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) واعلم ياأخي انه لا يجوز ان نقول بالجبر المحض بمعنى أن الإنسان مجبور مقهور في افعاله الاختيارية لأن هذا يبطل دعوة الرسل ويعطل الاوامر والنواهي والنسب الكسبية التي وردت فيها الكتب السماوية خصوصا القرآن الكريم لأننا كثيرا ما نجد الاعمال منسوبة الينا من جهة الكسب والاكتساب كما قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وايضا لو كان الجبر في اعمال الإنسان واقعيا لكان متحركاً

بلا ارادة ولو كان متحركا بلا ارادة لما صح نسبة الفعل اليه في الكتب السماوية ولما طلب منه الائتمار بالأوامر والإنتهاء بالنواهي وسخافة هؤلاء المعطلين تؤدي إلى نفي بعض مفردات من اللغة كالإرادة والإختيار وغيرها لأنه لا يجوز بناء على مذهبهم ان يقول الإنسان اريد كذا او اختار كذا لأنهم يعدون الانسان كالريشة في الفضاء تجريها الرياح حيث شاءت ثم انه لا يجوز ان نقول مثل قولة القدرية والمعتزلة إن اضافة الحركات الانسانية إلى الله تعالى ممتنعة كما ان اضافة افعاله تعالى إلى الانسان ممتنعة لان هؤلاء القوم خبطوا خبط عشواء ولم يدققوا النظر في اضافة الحركات الانسانية لأن عدم جواز اضافة افعال العباد اليه تعالى ليس على اطلاقه كما زعموا لان الحركات الارادية في الانسان لها نسبة كسبية لا تجوز ان تضاف إلا إلى من كسبها وهو العاقل المميز ومثال هذه النسبة نسبة كسر الخشبة إلى القدوم مع ان الذي كسر الخشبة هو الانسان بالقدوم والحركات الانسان ايضا نسبة وجودية لا تجوز ان تضاف إلا إلى من اوجدها وخلقها لانها من الممكنات والحوادث التي قام الدليل على انها لا توجد إلا بموجد لها وهو الله تعالى خالق كل شيء واما امتناع اضافة افعاله تعالى إلى الإنسان فهو صحيح ثابت عند العقلاء فلا ينبغي لهم ان يشبهوا الحركات الإنسانية بهذا الثابت

لأن الآيات القرآنية جاءت في بيان النسبتين في الحركات الانسانية فتارة نرى اضافة الافعال إلى العبد واخرى نراها مضافة إلى الخالق الباري كما في قوله تعالى (قل كل من عند الله) اي كل من الحسنة والسيئة مضافان إلى الله تعالى على سبيل الخلق والايجاد واما الآيات التي تدل على اضافة الاعمال إلى العبد المكلف كثيرة منها قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ولو دقق العاقل اللبيب عرف ان اضافة الحسنات اليه تعالى لكونه محسنا إلى عباده ومنعماً عليهم بالنعم الوافرة بلا استحقاق اصلا (يرزق من يشاء بغير حساب) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . واما اضافة السيئات إلى العباد فهي لكونهم اكتسبوها بميولهم وشهواتهم ولم يجبرهم عليها احد ولا ينبغي للعاقل ان يتمسك بالقضاء والقدر ليكون معذوراً في اعماله القولية والجارحية والفكرية لأنه تعالى عرّف الإنسان اوامره ونواهيه على ايد الرسل صلوات الله عليهم بإنزال الكتب السماوية فهو متعبد بالأمر والنهي لا بالقضاء والقدر وإنما وجب الاعتقاد بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى كما اعتقد السلف الصالح لأنه تعالى خالق وموجد ومريد لحركات الإنسان الإرادية ولأنه سبحانه اطلق اسماء من اوصافه وافعاله لا ينكرها احد بناء على قاعدة ان من لم يقم به وصف لم يجز ان يشتق له منه اسم منها القهار

الذي قهر الكائنات والحوادث فهي مسخرة لقضائه والقابض الذي يقبض الرزق على من اراد والخافض الذي يخفض اعداءه بالابعاد والمذل الذي يجعل من شاء ذا نقيصة بسببها يُرغَبُ عنه ويسقط من درجة الاعتبار والمنتقم المعاقب لمن عصاه في الدنيا والآخرة والضار النافع الذي يصدر عنه النفع والضر فلا خير ولا شر ولا نفع ولا ضر إلا وهو منسوب اليه تعالى نسبة على سبيل الخلق والايجاد والعاقل هو الذي لا يحتاج إلى كثرة المقال في هذا الباب ولهذا طلب منا صاحب الناموس الإلهي محمد عليه السلام ان نمسك عن الخوض بالقضاء والقدر لأنه ناموس الحياة لا ينكره إلا مكابر فتح باب الجدل المنهى عنه لأنه مضيعة واي مضيعة ولم يدر هذا الجدلي ان في كثير من مخلوقات الله تعالى ادلة واضحة كاشفة عن ارادته تعالى وقضائه وقدره خيرا كان او شرا وذلك مثل الموت الذي لا يفر منه احد وله جهتان نسبيتان الأولى عائليه والثانية اجتماعيه اما بالنظر إلى الأولى اي العائلية فهو لا شك شر ينفر منه الطبع وتنفعل منه النفس ولهذا سئل ابو حنيفة رضي الله عنه عمن يكره الحق فأجاب انه مسلم مؤمن و كان ذلك السؤال على سبيل الالغاز والامتحان والحق المكروه هو الموت وأما بالنظر إلى الثانية اي الاجتماعية فهو خير لا شك فيه ولا ينكر خيريته بالنسبة الى المجتمع البشري في هذه الحياة

إلا جاهل او مكابر وبالتدقيق يرجع الخير إلى امر العائلة ايضا غير ان الإنسان خلق هلوعا(١) إذا مسه الشر جزوعا ولو فكر قليلا لظهر له ان الخيرية والشرية صفتان نسبيتان كما تقرر وان الله سبحانه إذا اراد ظهور امر عن يد الإنسان تلون بما في إنائه من الصفات وانقسم إلى شر وخير فحينئذ يمكن ان يقال وكل إناء بما فيه ينضح والقول الفصل في هذا الباب ان نقول ان من تتبع القرآن الكريم ومارس السنة الشريفة يعلم ان الله تعالى انزل الصاعقة على قوم ثمود والريح العقيم المهلكة على قوم عاد وأغرق فرعون وجنوده في البحر كما أغرق قوم نوح عليه السلام ويعلم بالضرورة ان حلول هذه الأنواع من العذاب على هذه الاقوام مرادة لله سبحانه قضاها وقدرها عليهم لعدم اجابتهم لدعوة انبيائهم عليهم السلام فينبغي على من يقول ان الخير منه تعالى قضاه وقدره والشر من الانسان او الشيطان ان ينكر هذه الاخبار لأنه يؤخذ من سياقها ونصوصها ان هذا التعذيب على اختلاف انواعه كان من الله تعالى وهو الذي قضاه وقدره على تلك الاقوام لعلمه أزلا بما سيكتسبونه من الصفات الرذيلة التي ادتهم الى العناد والكفر ولا مخلص لهذا القائل وإني لأعجب كل العجب ممن يرى ان الله تعالى فرض الجهاد والقصاص والحدود

(١) هو الذي يجزع ويفزع من الشر

ويقول انه تعالى ارادها وقضاها وقدرها مع انها بنسبة الانسان شر ينفر منه وان كانت من الوجهة الشرعية خيرا عائدا على المجتمع البشري واذا فتحت له باب البحث في القضاء والقدر خالف ذلك كله وقال انه تعالى لا يقضي ولا يقدّر الا بخير فنقول لهذا القائل ان اردت الأدب ونظرت ان الانسان هو المكتسب لهذا الأمر فنسبته اليه من هذه الجهة فمسلم وإلا فقد اعتقدت ان الانسان يخلق افعاله التي لم تنسب اليه الا لأنها ظهرت على يديه واخذت الوصف شرا كان او خيرا من باب الشريعة الغراء التي جاءت الينا ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فنهانا عن شيء لما فيه من قبح عائد على النفس وامرنا بشي لما فيه من خير عائد عليها ايضا واذا اعتقدت ذلك فقد قصرت قضاء الله وقدره وخالقيته على الخير فقط فعليك البيان واما نحن فنقول ان نسبة الاعمال كلها الى الله على سبيل الخلق والايجاد كما سبق معتقد السلف الصالح والصحابة والتابعين ولسنا بأفقه منهم في كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه وسلم لقربهم منه عليه السلام ولا في كلام العرب لوجود السليقة والملكات اللسانية المفقودة من امد بعيد لهذا اقتضى ان نقول بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى كما قالوا ونفهم في النصوص الواردة كما فهموا ولا يجوز ان نفهم من النصوص والاحاديث فهما مستقلا يؤدي

الى ان نفسر بالرأي كما انه يؤدي الى ان نقول ان النصوص في هذا الباب فيها شبهُ معارضة كما يزعم القدريه والجبرية والحق انه لا معارضة غير انهم لم يهتدوا الى هذا الامر وكأنهم لم يحفظوا الأحاديث التي تكشف لهم عن الحقيقة إزارها فيتضح لهم منار اهل السنة الغراء لأنها وردت مبينة لهذا الباب بأوجز مايكون مع بيان فضل الله تعالى على عباده في مسئلة الهم من الانسان بحسنة او سيئة لم يعلمها مخافة منه تعالى لأنه كما قلنا ان الهاجس والهم لا يحاسب الله عليه الا بخير اذا لم يبلغ درجة النية والفعل مهما كان ذلك قال عليه السلام (ان الله كتب الحسنات والسيئآت ثم بين ذلك فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتب الله له عنده حسنة كاملة فان هو هَمَّ بها فعملها كتب الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتب الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هَمَّ بها فعملها كتب الله له سيئة واحدة ، قال الكرماني فيه دلالة على بطلان قاعدة الحسن والقبح العقليين وان الأفعال ليست بذواتها قبيحة او حسنة وهذا تفسير لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) وجاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رجل (اي هو نفسه) يارسول

الله أيعرف اهل الجنة من اهل النار قال عليه السلام : نعم قال ابن عمران فلم يعمل العاملون : قال عليه السلام (كلٌّ لما خُلقَ له) وفي رواية اخرى (كلٌّ ميسرٌ لما خلق له) اي فعلى المكلف ان يدأب في الاعمال الصالحة ولا يتكل على ما في علم الله فإن عمله امارة الى ما يؤول اليه امره غالبا والرب يفعل ما يشاء فالعبد ملكه يتصرف فيه بما يشاء سبحانه وفي هذا السؤال من عمران رضي الله عنه مطالبة بأمر يوجب تعطيل العبودية كما هو عند بعض المتصوفية في زماننا غير ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرخص له رضي الله عنه في الاتكال على المكتوب وترك العمل لعدم الاطلاع على ما في الواقع ونفس الأمر من المكلف فهو مأمور بالاوامر ما لم يطّلع عَلَى ما في اللوح المحفوظ وهذا لا يصح لأحد من المكلفين فعليه اطلب الرزق بالجد والعمل وإن كان مقسوما وعالج نفسك بالدواء وان كان الأجل محتوما وجاء عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا ومعه مخصرة اي عصاة صغيرة فنكس[1] فجعل ينكت بمخصرته اي يبحث في الارض عَلَى عادة العرب ثم قال : ما منكم من احد ما من نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية اوسعيدة

---

(١) اي طأطأ رأسه الى الارض

قال اي علي كرم الله وجهه فقال رجل يا رسول الله افلا نمكث على كتابنا اي علي ما كتبه وقدره تعالى وندع العمل فقال صلى الله عليه وسلم من كان من اهل السعادة فسيصير الى عمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسيصير الى عمل اهل الشقاوة ثم قرأ فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى واعلم ان قليلا من الخبرة يكفي في ارشادنا وهدايتنا الى انه لابد من القضاء والقدر في كل الامور حيث اننا نرى الانسان يجب ان يعمل كل شيء كما يشاء حينما يشاء لكنه لم يتسن ذلك له لأنه خاضع في ارادته لناموس القضاء والقدر والارادة الإلهية كما انه خاضع في اعماله للاوامر والنواهي الشرعية قال الناظم

وأمر إله الخلق تبين ما به ... يسوق اولي التنعيم نحو السعادة
فمن كان من اهل السعادة اثرت ... اوامره فيه بتيسير صنعة
ومن كان من اهل الشقاوة لم ينل ... بأمر ولا نهي بتقدير شقوة
ولا مخرج للعبد عما به قضى ... ولكنه مختار حسن وسوأة
فليس بمجبور عديم ارادة ... ولكنه شاء بخلق الارادة
ومن عجب الاشياء خلق مشيئة ... بها صار مختار الهدى والضلالة
وقولك هل اختار تركا لحكمه ... كقولك هل اختار ترك المشيئة

هذا وان الايمان بالقضاء والقدر خيره وشره من اعظم انواع

البر وذلك لأن المؤمن به عَلَى الوجه الصحيح يلاحظ التدبير الواحد الذي يجمع العوالم تحت هذه الدائرة المنسوخة عن علم الله تعالى الازلي الذاتي الذي لا بد من تحققه وقوعه ولأن الانسان ايضا يصير طامحا ببصره الى ما عند الله تعالى ويرى الدنيا وما فيها واختيار العباد بالنظر الى قضاء الله تعالى كالصور المنطبعة في المرآة وقد نبه صلى الله عليه وعَلَى آله وصحبه وسلم عَلَى عظم امره من بين انواع البر حيث قال من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فانا بريء منه وقال عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه اي لم يكن لغيره ليتعداه ويتجاوزه المقدور عليه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه اي وما تجاوز عنه لم يكن موجودا لينالهوالحاصل ان الانسان ما وجد في هذه الدار الا لينالهما قدره الله عليه وان المقدَّر عليه لا يتجاوزه الى غيره والمقدَّر الى غيره لا ينال منه شيئا جف القلم على ما قضاه وقدره الله تعالى الا اذا لطف بعبده يمح الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب

باب القيامة والاعادة

اعلم ايها العاقل ان النصوص الشرعية مستفيضة بأمر القيامة والاعادة فلا مجال لانكارها ممن التزم الشريعة الغراء مادام مصدقا بالرسول عليه السلام ولا يحسن بالعاقل اللبيب الا التصديق بها لأن

عود النفس الى البدن بعد مفارقتها في القيامة امر ممكن ومعلوم ان كل ما سوى الله تعالى فهو من الممكنات التي لا تستلزم في طرفيها محالا فبقي امر القيامة والاعادة دائرا تحت الامكان والوجوب طالما نفينا عن الطرفين الاستحالة ولا يقال يلزم على اعادتها بعد الموت حصول الضد وهو الوجود والحياة بعد حصول الضد الآخر وهو الموت والعدم لأنه لما جاز حصول الموت عقب الحياة جاز حصول الحياة مرة اخرى بعد الموت بناء على ان الحكم على الضدين واحد[1] وقد نص على ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) ولما كانت لذة الانسان وآلامه في الدنيا منقسمة الى روحانية وجسمانية وهي مألوفة له بهذا الشكل خاطبه الله تعالى بالنصوص القرآنية حسبما الفه من اللذة والألم ليفهم عن الله مراده الا ترى ان الله سبحانه بين له اللذة الروحية التي هي التمكن من انكشاف الحقائق والمعارف وزاد له فيها معرفة الله على الوجه اللائق بكماله بحيث لا يشك بعد المعرفة ولا يسترب وذلك بقوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظره) وبقوله (ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين) ولا يخفى ان لفظة (ما) من ادوات العموم يدخل فيها كل ما يعطى

---

(١) وهو ان تحكم بجواز الحياة بعد الموت كما هو محكوم بالموت بعد الحياة

ويوهب وبقوله تعالى : (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) اي حادنافذ ترى ما كنت غافلا عنه بهذا الكشف الذي يميط اللثام عن الحقائق والمعارف وفي قراءة بكسر التاء والكافات الخطابية فيكون الخطاب للروح وهو ظاهر

ثم بين له اللذة الجسمانية بقوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منهامن ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون)والآيات في هذا الباب كثيرة وهكذا بين له الألم الروحي وهو بقاؤه في ظلمة الجهاله وانحجابه عن رؤية ربه تعالى على الوجه اللائق بقوله سبحانه(كلاانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ثم بين له عقب الآلام الروحية الآلام الجسمانية بقوله (ثم انهم لصالوا الجحيم) وبقوله(كلمانضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وهذه الآية نص في حشر الاجساد وآلامها ومن أنكر هذا العذاب و النعيم فقد كفر بماانزل علَى محمدلأن الإعادة والقيامة للعقاب والثواب ثبتت بالدليل القطعي الذي يكفر منكره .

واعلم انه من العبث ان لا يكون بعد هذه الدنيا دار للجزاء يحاسب الإنسان فيها ان خيراً فخير وإن شراً فشر لأنا وجدنا ان الإنسان لا يلحقه ما يستحقه من الخير والشر وأن اكثر الناس لا تستوفي حقوقها

من الخصماء لخفاء الأمر مهما اجتهد القضاة في كشف تلك الجرائم الناشئة عن النزاع الذي لابد منه في هذه الحياة الدنيا كما ان كثيرا ممن يستحق الشكر والجزاء الحسن على عمله الخيري يموت ولم يرَ من الشكر والإحسان شيئا والحاصل ان أهل القضاء وأولي الحل والعقد في هذه الدنيا لا يتسنى لهم أن يسيئوا لكل مسيء جزاءاً وفاقا كما انه لا يمكن ولا يتسنى أن يحسنوا لكل محسن لأن الطاقة البشرية تعجز عن ذلك فلا بد حينئذ من حكومة فوق الطاقة البشرية لتتمكن من العلم بأحوال البرية والخليقة سراً وعلانية وتلك هي حكومة القيامة والإعادة قال تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) وقال تعالى (علمت نفس ما أحضرت) وقال (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) أي ملكان حاضران يكتبان ما يعمله الانسان في الضمير النفسي والأدبي وإن كان الله عليما به وبأحواله ليجري على مقتضى العدل إذ من العدل أن لا يعذب الله سبحانه عباده بناء على علمه فيما يعملون ولأن العبد غالبا يظن بالله خيرا مثل انه رحمان عفو رؤوف وكل سبحانه كتابة الأعمال الانسانية إلى الملائكة تخويفاً وزجرا للمؤمنين وافتضاحا وتبكيتا لغيرهم واعلم يا أخي أنه تعالى ذكر من شكر أو شك في القيامة والإعادة بأن يبصر

في كيفية بداية نفسه وخلقته وتطوراته في ظلمة الرحم والمشيمة والدنيا لقوله تعالى (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير) ولقوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) كل ذلك ليحصل له العلم الحدسي بمعنى انه تنكشف له النتائج والحدود في أمر القيامة والإعادة من غير مقدمات مرتبة للانتاج هذا إذا كان من أهل النفوس المحبة لهذا الأمر المشتاقة إلى الوصول أو من أهل النفوس الزكية القوية المستضيئة بنور الفطرة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار الفكرة . أما إذا كان من أهل الفكرة التي لا تنكشف له النتائج إلا بمقدمات معلومة مرتبة ليتوصل بها إلى المجهول المطلوب فقد أمره سبحانه أن يسير في الأرض لينظر كيف بدأ الله الخلق فيقيس عليه الإعادة والقيامة التي هي غاية الحياة لأن النفوس البشرية لا يمكنها أن تستكمل المقصد الأعلى وهو التجرد المحض عن كل رذيلة مع الاتصال بالحق على الوجه اللائق وتمام الفيض وانكشاف الأمور كما هي إلا إذا كانت مؤيدة وهذا خاص في حياتنا الدنيا للأنبياء صلوات

الله عليهم دل على ذلك قوله تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير)

تنبيه

في الآية المتقدمة التي دلت على العلم الحدسي وهي قوله أولم يروا استفهام بمعنى انكم لم تستبعدون أمر القيامة والاعادة طالما تعلمون ايها المنكرون ولو بالجملة كيفية بدء الله الخلق المشاهد لكم الذي سئلتم عن خالقه في غير ما آية فقلتم انه هو الله فلا يمكنكم هنا أن تنكروا العلم بذلك ولا أن تستبعدوا أمر القيامة لأن من ثبت عنده المبدئ والبداية لابد أن يثبت عنده المعيد والاعادة والحاصل انه حملهم في الكلام على الاقرار بما يعلمون انه تعالى هو المبدئ والخالق وإذا ثبت ذلك كانت الإعادة منه تعالى ثابتة لأنها أهون عليه بنظرهم ولذا نزل الكلام في الآية حسب متعارفهم ان الصانع إذا قصد تخريب صنعة ثم أراد اعادتها يعيدها بلا مشقة كالأولى وأما في قوله قل سيروا الآية فقد أمر المنكر أو الشاك أن يسير في الأرض أعم من أن يسير في ذهنه أو جسمه ليتحصل على العلم الفكري وتعقيب الآية الأولى بهذه إشارة إلى انه من لم يحصل له العلم الحدسي بالقيامة والإعادة فليذهب بعقله متفكرا في كيفية بدء الخلق الداعي الى العلم الفكري واعلم ان القرآن الكريم جامع

لأصول السعادتين ونظام الحياتين وأهم هذه الأصول ثلاثة الأول في التوحيد والثاني في النبوة والثالث في الحشر والقيامة ولا ينفك بعضها عن بعض لا في الذكر الحكيم ولا في الاعتقاد السليم وهي ثابتة نقلا وعقلا أما ثبوتها نقلا ففي القرآن الكريم والسنة الصحيحة وأما ثبوتها عقلا فقد ظهر لك يا أخي مما سبق في نور الهداية ولا يقال لو كانت القيامة التي هي من الأصول الثابتة معقولة لما كذب بها احد لأننا نقول ان العقلاء يتفاوتون في بذل المجهودات لنيل المعقولات لأن منهم من يستفرغ قوته المدركة في معقول ما بلا ملل مستجمعا بشروط البراهين والأدلة فيصب كبد المسألة على الوجه الحق ومنهم من لا تساعده قوته المدركة على ذلك لتعلقها بالغواشي فلا يصل الى الغاية مع ان القيامة والنبوة لا تحتاج الى هذا كله لأنها من اليقينيات الضرورية والمتواترات وذلك مثل قولنا مكة في الحجاز فمثل من ينكر القيامة والاعادة مثل من ينكر وجود مكة في الحجاز

تنبيه

الدار الآخرة أعني الجنة والنار موجودتان وقد أجمع المسلمون على ذلك بقوله تعالى أعدت للمتقين وقوله تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وقد ورد في السنة الصحيحة ايضا ما يدل على ذلك وهو ان الميت يفتح له

في قبره باب الى الجنة او باب الى النار حسب عمله ويرى مقامه من الجنة والنار ولم يرد نص صريح في تعيين مكانهما والأكثرون على ان الجنة فوق السماء السابعة وتحت العرش وان النار تحت الأرضين وروي ان رسول هرقل سأل النبي عليه السلام فقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار والمعنى والله اعلم انه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضدذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل واعلم انه يفهم من السنة الشريفة ان اعمال الإنسان تتشبح له يوم القيامة فتنشرح نفسه بما كسبه مما يلائمها فيتم بذلك نعيمها او تنقبض نفسه بما اكتسبه مما يعود عليها بالحسرة والندامة فيتم بذلك عذابها ويبدأ التشبح لأعمال الانسان بالحيات تلدغه من داخل نفسه وما ذاك إلا تمثل صفات الرذائل بهيئات مزعجة في نفسه الحية لأنه من المعلوم ان الأعمال مظاهر الهيئات النفسانية وشروح لها فهي موجودة منقوشة في النفس لوجود تلك الهيئات وأما ظهور العمل فهو أثر الصورة النفسية يحقق لنا عند ظهوره ان النفس قد رسخت فيها تلك الهيئة الداعية لهذا الظهور على اعضاء الانسان ومن هذه الهيئات المخزونة يأتي التمثل والتشبح في البرزخ ابتدائيا وينتهي في

القيامة من البرزخ إلى عذاب أليم متقلبا في انواع النيران التي وقودها الناس ولايقال ان مثل هذا التمثل والتشبح بسيط بالنسبة لجهنم والنيران الحقيقية لأننا نقول انهما دائمان أبد الآباد لمن قضى عليه بالخلود في دار العذاب ويقرب من هذا حالة من استمر نائما لا يستيقظ وقد يتمثل له في منامه المستمر أسد ينهش فيه وحيات تلدغه ولايتخلص مما فيه من العذاب إلا إذا استيقظ وقد فرضنا انه نوم مستمر وهكذا بل اقوى منه حال من سكرت نفسه وغفلت عما يقع عليها في الحياة الأخروية من أنواع العذاب

وحاصل ما تقدم انه يجب الإيمان والتصديق الجازم المطابق للواقع بالقيامة والإعادة والصراط وأنه جسر ممدود على متن جهنم للمرور ويجب الإيمان ايضا بالميزان الذي هو مظهر العدالة الإلهية والحساب ونشر الصحف الوجدانية التي نقتشها الملائكة الكرام كما يجب الايمان بالحور العين والغلمان الذين هم خدمة اهل الجنة وكثرة الخدم دليل على احترام المخدوم

ثم يجب التصديق الجازم بالعذاب المعد لمن كفر بالله ورسوله فلا شيء اقل من الاحتياط في اعتقاد امثال هذه الامور السمعية لأن طريقة الاحتياط باعتقاد القيامة والإعادة الجسمانية والتأهب لها أولى بالعاقل اللبيب لأن الكل يعرف ان الانسان إذا أخبره أحد من الناس انه سيأتي عليه زمن يكون فيه محتاجا للقمة

يأكلها وقطرة يشربها يستعد لذلك الزمن ويقتصد في صرفياته احتياطا وسواء عليه كان ذلك الأمر أو لم يكن لايتضرر بشيء ولا يقال انه قد فوت لذائذه وشهواته بهذا الاحتياط في الدنيا لأن الإنسان بشرط كونه عاقلا لا يبالي بتفويت متاع الغرور لأحد أمرين احدهما انه في غاية الخساسة لأن الخنافس والديدان والكلاب مشتركة معه في الارتفاقات الدنيوية الدنيئة فلا يبالي بفواتها والثاني ان اللذات والشهوات وسائر الارتفاقات في هذه الدار متقطعة سريعة الزوال والعاقل لا يرضى بها ولا يتحسر عليها ومالي كلام بعد هذا مع من لم يحتط ويأخذ بالتأهب لتلك الدار معتقدا القيامة لصدق المخبر إلا قول الشاعر :

قال المنجم والطبيب كلاهما لاتحشر الأموات قلت اليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

خاتمة

اعلم ان الله سبحانه ميز الانسان بالأعمال الإرادية لأنه تعالى الصقها به وأحصاها على نفسه واليك ما تستأنس به تمهيدا لما نقوله بعد وهو ذكرك الماضيات من الأعمال فيما إذا كانت قريبة الطي في القوة الحافظة ولم يكدرها مرور الزمان في هذه الحياة الدنيا فتذكرها لأدنى ملابسة فما بالك إذا صفا الوقت وظهرت حكومة القيامة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وانقطعت عن العلائق والعوائق

الدنيوية ونشرت صحف الوجدان بأوضح بيان وكشف الغطاء أتنسى أم تذكر تلك الأعمال التي كنت هيئاتها في نفسك يوضح ذلك قوله تعالى : (وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وما ذلك إلا لأن الأعمال الإرادية والأخلاق الراسخة منبعثة من أصل النفس الناطقة ثم تعود اليها متشبثة بذيلها لأننا وجدنا ان الانسان إذا عمل عملا مرة بعد أخرى اعتادته نفسه وسهل صدوره منها ولم يحتج الى روية لأنها تأثرت منه ويشير الى هذا قوله عليه السلام (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين أي لا تزال القلوب تعاودها الفتن حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض أي احدهما مثل الصفا في البياض والآخر أسود مربادا أي متغيرا كالكوز مجخياً أي مائلا عن طريق الاستقامة وقد شبه القلب بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه الماء وكذلك القلب المائل عن المحجة الواضحة لا يعي شيئا من الخير ولا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه ومن أجل انتقاش الأعمال في النفس المكنى عنه بالتعلق والتشبث تظهر في المعاد والقيامة ظهورا بنشر الصحف الوجدانية التي يقرؤها كل إنسان وربما يزداد تعلق العمل وتشبثه في نفس الانسان فيظهر على جوارحه مفصحا عن صور الأعمال التي اكتسبها في الحياة الدنيا يوضح ذلك قوله تعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)

ومن المعلوم ان الله تبارك وتعالى لا يحتاج الى هذا كله لأنه الغني

ولأنه علم ماكان وماسيكون وقدره على مخلوقاته ونقشه في اللوح المحفوظ لكن مقتضى العدالة الإلهية أن لا يعذب أحداً بناء على علمه تعالى بأحوال خلقه إلا اذا ظهرت اعمالهم في الحياة الدنيا فجعل هذه النقوش النفسية ليخزن ما اجترح في الليل والنهار سراً وعلانية ثم يتمثل ذلك المخزون وتنطق به جوارحه حسب ما في العلم الإلهي واللوح المحفوظ وربما تريد أن تعرف شيئاً عن اللوح المحفوظ فأقول بقول الإمام الغزالي رضي الله عنه هو خلق من مخلوقات الله تعالى منقوش فيه اعمال الخلائق وحركاتها مما جرى وما سيجري يعبر عنه باللوح تارة وبالكتاب المبين تارة وبإمام مبين أخرى وكله ورد في القرآن الكريم ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم أو ان ذلك الكتاب من ورق لأن لوح الكائنات والحوادث لوح لله لا يشاهد بهذه العين وما كان لوحا لله تعالى فلا ينبغي أن يكون مشابها لما نفهمه من لفظة اللوح وهكذا كتاب الله تعالى لا يشبه كتابنا كما ان ذاته سبحانه وصفاته لا تشبه ذواتنا وصفاتنا وإن كنت تطلب مثلا تقريبيا فاعلم ان ثبوت المقادير من الحركات الاختيارية وغيرها في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه المحفوظة في دماغ الحافظ أو قلبه فكلما قرأ القرآن نظر اليه منقوشا في عقله ولبه ولو فتشت دماغه أو قلبه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك المقروء أو المسموع حرفاً فمن هذا النمط ينبغي أن نفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه

﴿ سانحة ﴾

اعلم يا اخي انك إذا لم تفهم بعض مراد الشارع الحكيم في امثال ما سبق من الأمور السمعية كالقيامة فاطلب ذلك من عالم عارف

بالله تعالى أو اجتهد في ان تستطلع ذلك بواسطة الصيام والرياضة والمجاهدة لينكشف لك شيء حسب استعدادك فيما إذا كنت متعشقا لفهمه لأن اللطيفة النورانية في الانسان موجهة في اصل فطرتها للأوح المحفوظ فإذا زالت عنها الغواشي والكدورات بقدر الطاقة وارتاضت في مطالعة ما وراء هذه الظواهر انتقش فيها ما كانت تستطلعه بالامس لأن كل انسان لا يكشف له إلا بعد ان يكون مستعدا مجاهدا لنفسه وهواه وفي الحقيقة النفس عالمة بالقوة بكل معلوم ممكن لأنه منقوش فيها ذلك بمواجهتها ومقابلتها للأوح المحفوظ غير ان العوائق والعلائق هي التي اضطرتها لكسب العلم من الرجال بواسطة التلقين والسماع ولولا علمها بالقوة ما تعلمت بالفعل وماظهر على لسانها شيء ابدا واظنك تريد مثلا يوضح الامر فأقول النفس بأصل فطرتها كالمرآة الصافية النقية قابلة للانتقاش واللوح في جهتها منقوش فيه كل معلوم كما سبق لك بيانه فهو إذاً كالمرآة التي فيها نقوش وصور فبمواجهته للنفس التي قال الله فيها (قد افلح من زكاها) ينتقش فيها من الصور اللوحية بحسب استعدادها واستطلاعها وارتياضها ويكون ذلك على مقتضى الحكمة الإلهية والتقديرات الأزلية وحيث فهمنا ذلك المضنون ينبغي علينا ان نتهم انفسنا إذا لم نفهم مراد الشارع وحكمته ولا يجوز ان نقول في التشريع ما لا نعلم كما انه لا يجوز ان

تتهم الشريعة البيضاء والملة السمحاء واما ما نجده اليوم من الكلام الذي يتفوه به من ينتمي إلى العقلاء فهو اشارة الكسل وعنوان الجهالة والغرور والداعي لهذا ميل البعض منا إلى التجدد حتى في العقيدة لأنك تجدهم لا يسلمون لنا في الأمور السمعية كالقيامة والقضاء والقدر والمعراج لسيدنا محمد الرسول الكريم وهم يسلمون لرجل يتوهم انه يمكنه الصعود للمريخ أو القمر سبحانك هذا بهتان عظيم وإتماما للسانحة نذكر لك تاريخ القضاء والقدر فنقول انه متفق عليه بين أهل الديانات السماوية لأن نقطة دائرته قصة آدم عليه السلام وهي موجودة عندهم في جميع تعاليمهم ثم بعد الطوفان افترقت الخليقة إلى ثلاث فرق أولية فضلا عن تفاريعها وهي المجوسية والصابئة ويقال لهم الكلدان والثالثة اليهود ومن المعلوم لمن قرأ تاريخ الملل والنحل ان المجوسية والصابئة اقدم من اليهود وأنهم كانوا يعتقدون بوجود إلهين اثنين احدهما للخير والآخر للشر وجاء ان الصابئة ابتداء كانت تعبد الاجرام السماوية وبعد ذلك اخترعوا صورا لتلك الاجرام لانها قد تخفى عليهم في بعض ايام السنة وعلى كل حال ما دعاهم الى ان يعتقدوا الاثنينية في مقام الالوهية الالانهم رأوا تعداد الأمور واتصافها بالشر تارة وبالخير أخرى فنسبوا الخير إلى إله والشر إلى إله آخر وتقررت هذه العقيدة وسرت في العقول جيلا بعد جيل

بانقراض المصلحين من الأنبياء صلوات الله عليهم وبتأثيرات زمانية وعوامل مكانية وسلطة حكومية ضيقت نطاق الحكم والفلسفة فتشابهت اقوالهم واضطربت عقيدتهم إلى زمن المسيح عليه السلام فدعاهم إلى الحق فأبى اكثر الناس الا كفورا ورجع الأمر كما كان شأن كل دعوة جديدة واضطربت من بعده الأقوال والمذاهب فأشرقت شمس معارف النبوة المحمدية في سماء العقول النورانية وتوسطت فاذا هي ظاهرة على الأديان بأصول التوحيد البديع وفروع التشريع فختمت بذلك افواه البشر من العقلاء والمفكرين عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا : وقالت اعملوا فكل ميسر لما خلق له وأمرت بالسعي والجد في الحياة الدنيا وأفهمتنا ان الدعاء والنذر والأخذ بالأسباب لا يرفع القضاء والقدر بل يوافقه ولو فكر العاقل قليلا لعلم أن القضاء والقدر من أركان الحوادث الكونية كما أنه من أركان الديانة الإسلامية ولاستهزأ بقول القائلين القضاء والقدر عقيدة العاجز كلا بل هو عقيدة كل رجل اتصف بالإنسانية وعرف أنه لا يمنعه هذا المعتقد عن العمل والجد بعد أن أمر الله الناس وكلفهم ولا يأمرهم إلا بما في الوسع والطاقة لا يكلف الله نفسا إلا وسعها والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072539370

(NEC)
BP88
.H315
N7
1933